سمات نبي الرحمة (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي
دراسة في بلاغة الصورة والأسلوب

الكلمات المفتاحية : الشعر الإسلامي – الصورة القرآنية– الأسلوب القرآني

م . د سعد عدوان وهيب
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية
dwandsd@gmail.com

الملخص

يدرس هذا البحث (سمات نبي الرحمة(عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي : دراسة في بلاغة الصورة والأسلوب) ، واعني به تقصي بعض سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي –وتحديدا عند شعراء صدر الإسلام– إذ قمت بدراستها على وفق مصطلحي الصورة والأسلوب ، وذلك لأنهما يسهمان في الكشف عن جمالية مخيلة الشاعر الإسلامي، كذلك من أجل الكشف عن مدى تأثر مخيلة الشعراء في العصر الإسلامي بالصورة القرآنية وأسلوبه وهو ما لم يلتفت له الباحثون الذين درسوا سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي من قبل ، ومن هذا المنطلق قمت بتقسيم موضوع بحثي هذا على مطلبين .

المطلب الاول : بلاغة الصورة القرآنية وأثرها في مدح سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) ورثائه عند شعراء العصر الإسلامي .

المطلب الثاني :بلاغة الأسلوب القرآني وأثره في مدح سمات رسولنا الاكرم(عليه الصلاة والسلام)ورثائه عند شعراء العصر الإسلامي .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين. اما بعد :

فعند بحثي عن موضوع في ادب عصر صدر الاسلام، لم اجد اجمل واروع من دراسة سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الاسلامي حينما امتدحهُ شعراء الاسلام في هذا العصر ورثوه ، من خلال الاشادة بمعالم نبوته ورسالته، وما كان عليه من الاخلاق والصفات ومن مقدرة ومكانة في الشجاعة وقيادة البشرية ، لذا حاولت في هذا البحث

تقصي هذه السمات ودراستها في الشعر الإسلامي على وفق مصطلحي (الصورة والأسلوب) ، وذلك لأنهما يسهمان في الكشف عن جمالية مخيلة الشاعر الإسلامي فضلا عن ذلك من أجل الكشف عن مدى تأثر مخيلة الشعراء في العصر الإسلامي- وتحديدا شعراء صدر الإسلام- ببلاغة الصورة القرآنية وأسلوبه ، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (سمات نبي الرحمة (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي : دراسة في بلاغة الصورة والأسلوب)

لقد اقضت طبيعة البحث تقسيمه على مطلبين وخاتمة ، إذ اشرت في المطلب الاول إلى بلاغة الصورة وأثرها في مدح سمات رسولنا الاكرم(عليه الصلاة والسلام) ورثائه عند شعراء صدر الإسلام ، إذ تحدثت فيه عن مفهوم مصطلح الصورة في اللغة والاصطلاح وبعد ذلك تحدثت عن خصائص الصورة القرآنية وأثرها في مدح سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) ورثائه في الشعر الإسلامي

اما المطلب الثاني : فقد تحدثت فيه عن بلاغة الأسلوب وأثره في مدح سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) ورثائه عند شعراء صدر الإسلام ، إذ اشرت في هذا المطلب إلى مفهوم الأسلوب عند بعض النقاد العرب ، وبعد ذلك كشفتُ عن اهم الاساليب التي وظفها شعراء الإسلام في مدح سمات رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) ورثائها مثل أسلوبي حذف الفاعل والقسم

وذكر الباحث في نهاية البحث خاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصل اليها ، واثبت بعد ذلك اهم المصادر والمراجع التي اتكأ عليها الباحث في كتابة هذا البحث .

سمات نبي الرحمة (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي
(دراسة في بلاغة الصورة والأسلوب)

توطئة

لقد ملك القرآن الكريم قلوب الشعراء وعقولهم، وذلك لما يحمل من البلاغة، والفصاحة والبيان. فأدى ذلك إلى عملية امتزاج النص القرآني بنصوصهم الشعرية، ولاسيما ما يتعلق منها بسمات الرسول الأكرمﷺ.

والسمة تعني ((الاتجاه المميز للشخص لكي يسلك بطريقة معينة ، أو هي صفة يمكن أن نفرق على اساسها بين فرد واخر))[١]، وعرفت كذلك بأنها:((هي التي تميز الفرد عن الاخرين بجوانب جسمية أو معرفية ، أو نفسية ، بثبات نسبي بحيث تشكل أحد المفاهيم الأساسية في أبعاد الشخصية وبنائها متمثلة بذلك في الظهور بسلوكيات الفرد ، وتصرفاته العامة))[٢] ،

ويمكن ان نقسم موضوع بحثنا هذا على مطلبين هما:

المطلب الاول : بلاغة الصورة القرآنية وأثرها في مدح سمات رسولنا الاكرم [٣] (عليه الصلاة والسلام) ورثائه عند شعراء صدر الإسلام .

المطلب الثاني :بلاغة الأسلوب القرآني وأثره في مدح سمات رسولنا الاكرم(عليه الصلاة والسلام) ورثائه عند شعراء صدر الإسلام .

المطلب الاول

بلاغة الصورة القرآنية وأثرها في مدح سمات رسولنا الاكرم(عليه الصلاة والسلام) ورثائه عند شعراء صدر الإسلام .

في مفهوم الصورة

الصورة في اللغة: تفيد معنى الشكل يقول تبارك وتعالى :((فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)) (سورة الانفطار: ٨) ، والجمع صور ، وقد صوره فتصور، ويقال: تصورت الشيء أي توهمت صورته فتصور لي، وان المقصود من قولهم : صورة الفعل كذا وكذا: أي صفته، وكذلك التصاوير: تعني التماثيل[٤].

اما في الاصطلاح: تعني رسم قوامه الكلمات المتكونة من التشبيه ، والمجاز، والوصف فتقدم الينا في شكل عبارة ،أو جملة، أو تركيب يغلب عليها الوصف الحسي، أو هي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة[٥].

وتعني كذلك ((ما يرسمه المصور بالقلم والة التصوير، او على ارتسام خيال الشيء في المرأة، او في الذهن، او على ذكر الشيء المحسوس الغائب عن الحس))[١].

يتضح من خلال التعريف المذكور انفاً ان مصطلح (الصورة) هو المجسد بعملية التركيب التخيلي للنص الادبي، إذ إن المسوغ في اللجوء لعنصر الصورة هو مجرد وسيلة لغرض تعميق الدلالة أي: لتحقيق عنصر الاثارة والمتعة الفنية[٢].

- **خصائص الصورة القرآنية**

تعد الصورة ابرز العناصر المتجسدة في النص القرآني، اذ انها تكتسب صفة الحيوية والجمال في اعلى درجاتها في الوصف والاداء تفوق ما تنتجه مخيلة الاديب من صور شعرية جميلة منظومة في نصه الادبي اذ ان القران الكريم يتفرد بهيكل خاص يميزه من الاشكال الادبية المعروفة من نحو قصة ومقالة وقصيدة الخ، فهو يتميز من ناحية التعبير، في ان عناصره من (الصورة) ، (الايقاع)، (البناء المعماري) تجعله ذا طابع متميز، ملحوظ متفرد، اذ ان القران الكريم يشكل صورة ادبية فريدة في الاسلوب[٣].

ومن اجل ذلك نرمي الى توضيح السمات الفنية للصورة القرآنية، التي نستطيع ان نحدد اهمها وهي:

اولا: الالفة والطرافة

ونعني بالألفة هو ان القران الكريم يستعمل طرفي الصورة او احدهما من الظواهر والاشياء التي نخبرها ونعرفها في الحياة اليومية في حين نقصد بالطرافة هو ان تكون الصورة ذات استخدام طريف لا ابتذال فيه من الناحية الفنية[٤].

ثانيا: نقل كثير من المعاني الدينية من الحيز المجرد الذهني الى الحيز المحسوس المادي بوساطة الاستعارة ، من ذلك التعبير عن (الهدى) بالضياء والنور، وعن (الضلال) بالظلام والتخبط وهذه ظاهرة بارزة في الاسلوب القراني[٥].

ثالثا: تتميز الصورة القرآنية بدقة التصوير، اذ ان الصورة القرآنية لم تكتف بذكر المشبه به فحسب، بل تفصل الحديث عن المشبه به، وذلك بذكر صفة او غيرها(١).

رابعا: ((وقد يجسم القران المعنى، ويهب للجماد العقل والحياة، زيادة في تصوير المعنى، وتمثيله بالنفس، وذلك بعض ما يعبر به عنه البلاغيون بالاستعارة المكنية))(٢).

خامسا: تتميز الصورة القرآنية بدقة انتقائها للمفردة الحسية من بين ما يشبهها من الدلالة، وفي ذلك مطابقة الكلام لمقتضى الحال (٣).

سادسا: الصورة القرآنية مضغوطة بقليل من الالفاظ، موجزة اشد الايجاز، سواء جاءت على هيئة الانماط البلاغية المعروفة، مثل الكناية ام الاستعارة، ام جاءت تعبيرا حقيقا يحمل في طياته صورة يجسدها الحسن ويرسمها البصر(٤).

سابعا: ان القران الكريم يميل الى بث الحركة في الكائنات والمشاعر، ومن ثم اقناع العقل وامتاع الوجدان بجوانب هذه الحركة المبثوثة التي تثير الخيال وتتغلغل في الاعماق(٥).

تلك كانت جزءاً من السمات الفنية، المهمة في معمار الصورة القرآنية التي استطاع الشعراء ان يتمثلوها في نصوصهم الشعرية، إذ نستطيع ان نجد في شعر عصر صدر الاسلام نماذج للصورة القرآنية، حينما مدح الشعراء شخصية الرسول الاعظمﷺ نتيجة للثقافة القرآنية التي تميز بها شاعر ذلك العصر، فقد استطاع الشعراء ان يستعملوا الصورة القرآنية، وان يستعينوا بالمفردة، او اللفظة القرآنية التي تعد ((الوسيلة الجمالية في صياغة النتاج الادبي، كما كانت الالوان وسيلة الرسم، والنغمات وسيلة الموسيقا، والحجر وسيلة النحت))(٦).

على ان تحويلها الى معان وصور بلاغية يكون بوساطة التشبيه، والاستعارة، والكناية، او الاستعانة بالصورة القرآنية نفسها لتوظيفها في رسم الصورة الادبية للنص الشعري.

وبذلك فقد ظهر في شعر المدائح والمرائي، الذي قيل في شخصية رسولنا الاكرام ﷺ في عصر صدر الاسلام تأثرا واضحا بالصورة القرآنية.

ومن ابرز صور هذا التأثر تلك التي تتمثل في:

اولا: صور معالم نبوته ﷺ في دعوة الناس الى الاسلام.

من ذلك قول الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي ﷺ بقوله[١].

نَبيٌّ أَتَانَا بَعدَ يَأسٍ وَفَترَةٍ مِن الرُّسلِ وَالأوثانُ في الأَرضِ تُعبَدُ
فَأَمسَى سِرَاجاً مُستَنيراً وَهَادياً يَلوُحُ كما لَاحَ الصَّقيلُ المُهنَّدُ
وَأَنذَرَنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الإسلاَمَ فَاللهَ نَحمَدُ

ففي البيت الثاني تشبيه متداخل أي ((ان (التشبيه) قد اعتمد على (تشبيه) مثله في صياغة الظاهرة وهو امر . . . ملفت للنظر بما ينطوي عليه هذا التركيب من دهشة وطرافة واثارة فنية بالغة الدلالة)) [٢]. اذ ان الشاعر في البيت الثاني شبه النبي ﷺ مرتين تارة في صدر البيت بقوله: (سراجا مستنيرا) مع حذف اداة التشبيه، ومرة في غمر البيت حينما تشبه الشاعر قدوم الرسول ﷺ الى دياجير الظلام، كالسيف الذي يلمع في الليل.

وكذلك حذف وجه الشبه الذي يجمع بين المشبه والمشبه به في التشبيهين المذكورين انفاً هو الضياء والنور.

فصورة صدر البيت الثاني تتناص مع قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)) (الأحزاب:٤٥-٤٦)

فقد ورد في هذا النص القرآني تشبيه بليغ بقوله تعالى: (وَسِرَاجاً مُنِيراً) أي انت يامحمد كالسراج المنير في الهداية والارشاد الا انه قد حذفت منه اداة التشبيه ووجه الشبه فاصبح بليغا على حد قولهم محمد قمر، وعلي اسد مما يزيد ذلك من جمالية الصورة البلاغية[٣].

واستعان حسان ايضا بالصورة المذكورة انفاً في قوله عن النبي ﷺ [٤]:

غَداةَ أَتاهُمُ يَمشي إِلَيهِم رَســـولُ اللهِ كـــالقَمَرِ المُنيـــرِ

ففي عجز هذا البيت يشبه الرسول الاعظم كالقمر المنير، وهو شكل من اشكال التشبيه المركب الموجود في الطبيعة، اذ ((ان الطابع الاعم للصورة هو كونها مرئية)) [٥]. وهذا

يتناص مع من قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)) (الأحزاب: ٤٥- ٤٦) ، إذ إن صورة (كالقمر المنير) التي وردت في النص الشعري المذكور انفا كثيرا ما كانت العرب تشبه الجمال به كقولهم: رايت قمرا، وسلمت على قمر، وجاء قمر.

ولم تك مراثي النبيﷺ تخلو من الاستعانة بتلك الصورة الشعرية، فهذه ام ايمن[١] ترثي الرسول الاعظمﷺ بقولها[٢]:

فلقد كان ما عملتُ وَصُولاً ولقد جاءَ رحمةً بالضِّياء

ولقد كان بعد ذلكَ نوراً و سراج يُضيء في الظَّلماء

ففي عجز البيت الثاني صورة بلاغية تتجسد في تشبيه الرسول الاعظمﷺ بالسراج الذي ينير، فهي لم ترد هنا بالسراج على وجه الحقيقة، بل كانت ترمي الى معنى اخر، وهو كون النبي محمدﷺ النور الهادي الذي يهتدي به الناس من الظلمات الى النور.

وهذه الصورة فيها تناص مع قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)) (الأحزاب: ٤٥- ٤٦) وذلك لما في هذا الوصف ((من فخامة القدسية وعظمة الاعزاز والاعلاء لشخصية النبي ما هو واضح لان وصف النبي بالسراج المنير ليس وصفا لجوانبه الوظائفية يخص الرسالة والنبوة من نحو الانذار والابلاغ والتبشير والدعوة وما الى ذلك من الكلمات ذات المعنى المعجمي المألوف ولكن هذه الصفة ((وسراجاً منيراً)) انما هي كلمة اراد الله بها ان يسبغ على رسوله سوابغ التقديس والاطراء العظيم والاكبار والتفخيم والصيت العالي والسمعة المباركة)) [٣]. ولقد اشار حسان بن ثابت الى عظمة ذلك التكريم والتقديس بقوله[٤]:

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك احمد

يشتمل هذا البيت على صورتين بلاغيتين الصورة الاولى في صدر البيت تكمن في اللفظة ((ومن يحف بعرشه)) وهي كناية عن الملائكة الذين يحفون بعرش الاله العظيم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ((وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ

وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (الزمر:٧٥) اما الصورة الاخرى فهي في عجز البيت، إذ استعار الشاعر لفظة ((الطيبون)) ويريد لهم المؤمنين فصورة معنى هذا البيت فيها تناص مع قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) (الأحزاب:٥٦) يشير الله عز وجل في هذا النص القرآني على ان الصلاة على النبي تعد من القربات التي تقرب العبد المؤمن من ربه عز وجل فالصلاة على النبي معروفة الغاية هنا فهي ليست كالصلاة المعروفة من قيام وركوع وسجود، بل انها صلاة تكريم واجلال وتعظيم والدعاء له بالرحمة، فهي من الطاعات التي امرنا بها الله عز وجل(١).

ثانيا: صور الصفات الخَلقية والخُلقية :

اتصف الرسول الاعظمﷺ بصفات الجمال الخَلقية والخُلقية كلها واوضح تلك الصفات:

أ. صورة صفة خلقه ﷺ:

من ذلك قول حسان بن ثابت يمدح الرسول الاعظمﷺ بقوله(٢):

أَغَرُّ عَلَيهِ لِلنُّبُوةِ خَاتَمٌ مِن اللهِ مَشهُودٌ يَلُوحُ وَيُشهَدُ

ففي صدر هذا البيت صورة بلاغية تكمن في استعارة الشاعر لفظة ((اغر عليه)) للدلالة على ان الرسول الاعظمﷺ ((ناصع البياض في خلقه وصفاته وافعاله))(٣)، وقد استوحى الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم:٤) أي يا محمد : إنك لعلى ادب رفيع وخلق فاضل كريم، فقد جمع الله سبحانه فيه الفضائل والكمال بصورة لم يدرك شانها بشر فقد كانﷺ فيه العلم والحلم، والحياء، وكثرة العبادة، والسخاء والصبر، والشكر، والزهد، والرحمة، والشفقة، وحسن المعاشر، وغير ذلك مما لا يحصى(٤).

وبذلك فان تلك الخصال المذكورة انفاً الذكر هي العناصر الاساسية للخلق ويقول حسان في المعنى ذاته راثيا الرسول الاعظمﷺ بقوله(٥):

رَباهُ وَليداً فَاِستَتَمَّ تَمامُهُ عَلى أَكرَمِ الخَيراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ

تَناهَت وَصاةُ المُسلِمينَ بِكَفِّهِ فَلا العِلمِ مَحبوسٌ وَلا الرَأيُ يُفنَدُ

ج

ففي صدر البيت الاول صور بلاغية كنى بها الشاعر عن اخلاق النبيﷺ بـ ((فاستتم تمامه))، وهذا يتناص مع معنى قوله تعالى: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم:٤) فهذا النص القرآني يعد ((عبارة رائعة موجزة غير انها مزدحمة بالمعاني الجليلة والسمات المستشهد بها في هذه الجملة انه مستشهد بكلمة الهية لاتجد لها حدودا في عالم الفضائل والقيم الخلقية الكريمة)) [١]، وبذلك فقد ((كان خلق الرسول الاعظم في البيئة التي عاش فيها مع الكفار من قومه ومؤمنيهم خلقا متميزا بالرفق واللين واللطف والعطف . . .)) [٢].

فضلاً عما تقدم فقد حاول الشعراء في مدحهم للرسول الاعظمﷺ ورثائهم له في عصر صدر الاسلام تاكيد هدايته، وانه مصدر النور والاشراق، واخذوا يشبهونه بالضياء تارة، وبالبدر المتلالئ حينا، وبالسراج الوهاج حينا اخر[٣]. ومن ذلك قول حسان بن ثابت يمدح النبيﷺ بقوله[٤]:

وافٍ وَماضٍ شِهابٌ يُستَضاءُ بِهِ بَدرٌ أَنارَ عَلى كُلِّ الأَماجيدِ

مُبارَكٌ كَضِياءِ البَدرِ صورَتُهُ ما قال كان قضاء غير مردود

ففي البيت الاول يشبه الشاعر الرسول الاعظمﷺ بالشهاب الذي يستضيء الناس بنوره ليلاً، في حين يشبه الشاعر في البيت الثاني صورة الرسول الاكرمﷺ بضياء البدر حينما يضيء ليلا.

ومعنى الصورة في البيتين السابقين يتناص مع معنى قوله تعالى: ((وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)) (الأحزاب:٤٦)

في هذا النص يشبه الله عز وجل رسوله الاعظمﷺ بالسراج الوهاج المضيء الذي يهتدي به الناس من الظلمات كما يهتدى بالشهاب في الليل الدامس فالسراج ليس وصفا لان النبي ﷺ لم يك سراجا حقيقة بل كقولنا: رأيت اسدا شجاعا فقوله: سراجا أي هاديا مبينا كالسراج

الذي يري الطريق ويبين الامر[١]. فهو النور الذي اضاء الله به البرية كلها بعدما كانوا يعيشون في ظلام، وضلال، وهذا ما يتضح في رثاء حسان بن ثابت للنبيﷺ بقوله[٢]:

نورً اضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتد

ففي هذا البيت صورة استعارية تكمن في لفظة (نوراً) يريد به الشاعر الرسول الاعظمﷺ فهذه الصورة فيها تناص مع معنى قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)) (المائدة:١٥)

فالنور في قوله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) صفة خص بها الله . سبحانه وتعالى . نبيه الكريم محمدﷺ دون غيره من الانبياء والمرسلين، ويؤكد ذلك ان جملة (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) تقع بدلا من جملة (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) وهو بدل الاشتمال، والمسوغ في ذلك ان مجيء الرسول قد اشتمل على مجيء الهدى والقران، وكذلك فقد اعيد حرف (قد) الداخل على الجملة المبدل منها، وذلك لتقوية وزيادة تحقيق جملة البدل[٣].

وفيها تناص ايضا مع معنى قوله تعالى: ((الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) (ابراهيم:١)

في حين يقول عبد الله بن رواحة الانصاري في النبيﷺ [٤]:

اطعناه لم نعد له فينا بغيره شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

فالشاعر في هذا البيت يشبه الرسول الاعظمﷺ بالشهاب الذي ينير الظلام للناس ليهتدوا به في الليل، والملاحظ في هذا التشبيه ان اداة التشبيه محذوفة ليكون الكلام ابلغ في السمع كقولنا: محمد قمر، وعلي شجاع، ابلغ من قولنا: محمد كالقمر، وعلي كالأسد .

وهذه صفية بنت عبد المطلب تبكي الرسول الاعظمﷺ بقولها[٥]:

فاتح خاتم رحيم رؤوف صادق القول طيب الاثواب

ففي عجز البيت صورة شعرية تكمن في لفظة (طيب الاثواب) وهذا ما يشير الى ((ان الصورة يمكن ان تستقي من الحواس الاخرى اكثر من استقائها من النظر)) [١] اذ ان تريد ان تقول: انها تتذوق طيب واخلاقﷺ عن طريق حاسة الشم التي جعلتها صورة كناية لتدل من خلالها على عظم خلق النبيﷺ وهذه الصورة فيها تناص مع معنى قوله تعالى: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم:٤)

فالنص الشعري المذكور انفاً يعني ان الرسول الاعظم كان ذو خلق عظيم وان لم يكن كذلك لما امن الناس برسالته الشريفة . وقد اشار زهير بن صرد السعدي إلى صفة عفوه امام الرسولﷺ بقوله[٢]:

انا نؤمل عفوا منك تلبسه هادي البرية اذ تعفو وتنتصر

ففي صدر هذا البيت صورة بلاغية اذ جعل الشاعر من عفوه ملبسا يلبسه، وهو في هذا يرى بان العفو صفة لا تتجزأ من شخصيتهﷺ فقد استعاد الشاعر لذلك لفظة ((تلبسه)) أي: بمعنى تأخذه وهذه الصورة فيها تناص مع قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (لأعراف:١٩٩) فهذا النص القرآني يتضمن ((حثا على ادأب اخلاقية محمودة هي الاخذ بالعفو والتسامح واللين وخفض الجناح للناس من اعتذر ومن لم يعتذر . . . . . أي ان الله يوصي لنبيه، ان لا يجسم زلات الجاهلين ويحملهم مسؤولياتها فان كثيرا من هؤلاء قد يدركون اخطاءهم فيلوذون بالاستغفار والتوبة وتصحيح الاعمال)) [٣]

وهناك من الشعراء يرى ان مجرد اخذ العهد، او الوعد، او العفو، او الامان من الرسول الاعظمﷺ، ان ذلك كافيا للاطمئنان، وهذا ما اشار اليه كعب بن زهير في قصيدة يمدح بها النبي اللهﷺ بقوله[٤]:

تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالأخذ باليد

ففي عجز هذا البيت تشبيه حسي، فالشاعر يشبه هنا ما يأخذه من وعد، او عهد من الرسول الاعظمﷺ كانه امر متحقق لا رجوع عنه، ولا تردد فيه فشبه ذلك ((كالأخذ باليد)) وهو تشبيه ملموس للدلالة على صدق الوعد، والعهد في اخذ العفو منه بعدما كان الرسول قد اهدر دمه. وهذا المعنى فيه تناص مع قوله تعالى: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) (لأعراف:١٩٩).

ب. صورة رحمته ﷺ:

اتصف الرسول الاعظم باللين والرحمة مع الناس كافة فهذا حسان بن ثابت يرثي النبي بهذه الصفة في قوله[١]:

تالله ما حملت انثى ولا وضعت مثل النبي رسول الرحمة الهادي

يقسم الشاعر في هذا البيت من انه ثم تحمل انثى ولم تنجب مثل رسول الرحمة، فقد كنى بها الشاعر عن النبي محمد بن عبد الله ﷺ وذلك لما كان يتصف به من الرحمة واللين والتواضع.

ويمدح الشاعر النبي في المعنى نفسه ايضا بقوله[٢]:

مثل الهلال مباركا ذا رحمة سمح الخليقة طيب الاعواد

فالشاعر يشبه الرسول الاعظمﷺ بالهلال في طلعته وهذا من التشبيهات المحسوسة في الطبيعة فهو الرحمة المهداة الى الخلق كافة وكما هو واضح فان الشاعر وظف تناص قراني مع معنى قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الانبياء:١٠٧)

ت. صورة رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين

كان ﷺ رؤوفا بالمؤمنين رحيما بالمذنبين شديد الشفقة والرحمة عليهم، وهذا يتضح في قول حسان بن ثابت حينما يرثي الرسول الاعظم بقوله[٣]:

عَزيزٌ عَلَيهِ أَن يَجوروا عَنِ الهُدى حَريصٌ عَلى أَن يَستَقيموا وَيَهتَدوا

عَطوفٌ عَلَيهِم لا يُثَنّي جَناحَهُ إِلى كَنَفٍ يَحنو عَلَيهِم وَيَمهَدُ

يصور الشاعر في هذين البيتين حرص الرسول الاعظمﷺ وعطفه بالمؤمنين كافة، ففي صدر البيت الثاني تكمن استعارة بديعة في لفظة (جناحه)،إذ شبه الشاعر حرص ، الرسول الاعظمﷺ ولطفه بالمؤمنين كالجناح الممتد عليهم جميعا، واطلق ابو هلال العسكري على مثل هذا التشبيه تسمية اخراج ما لاتقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه[١]،الذي يتمعن في صدر البيت الثاني يستطيع ان يرى التناص القرآني في قوله تعالى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء:٢١٥)

وقد اشار الشاعر كعب بن مالك الى تلك الصفة ايضا بقوله[٢]:

رئيسُهُم النّبيُّ وكانَ صُلْباً نقيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا

ففي عجز البيت استخدم الشاعر صورة المماثلة والتي تعني ((ان يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى اخر، . . . .، كقولهم: ((فلان نقي الثوب)) يريدون به انه لاعيب فيه)) [٣] فالشاعر اراد باللفظة (نقي القلب) كريم العشرة لين العريكة جميل الخلق وليس بالقلب حقيقة.

ث. صور من شجاعته ﷺ :

يمكن ان تقسم شجاعة الرسول الاعظمﷺ على قسمين:

اولا: الشجاعة بين الناس في الحق والعدل.

ثانيا: الشجاعة بين الناس في خوض المعارك وقيادة الجيش.

فمن الشعر الذي ذكر النوع الاول، ما جاء على لسان حسان بن ثابت في رثائه للنبيﷺ بقوله[٤]:

امام لهم يهديهم الحق جاهدا معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا

ففي قوله ((معلم صدق)) صورة بلاغية كنى بها الشاعر عن الرسول الاعظمﷺ الذي يعمل جاهدا على نشر الحق والعدل بين الناس كافة.

فعجز البيت فيه تناص قراني مع قوله تعالى: ((ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)) (الدخان:١٤)

فالرسول الاعظم ﷺ كان صورة مثلى يحتذى بها لنصر المظلومين وردع الظالمين ولا قامة العدل والحق تحت راية شريعته السمحاء وهذا ما اشار اليه حسان ابن ثابت بقوله(١):

فمن كان او من يكون كأحمد نظام لحق او نكال لملحد

ففي هذا البيت يرسم الشاعر صورة الرسول الاعظمﷺ من انه نظام للحق في عدالته لأنصاف المظلومين وردع الظالمين فلا كان ولن يكون مثلهﷺ.

هذه الصورة فيها تناص قراني ما خوذ من معنى قوله تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)) (الأحزاب:٢١).

اما النوع الثاني من صورة شجاعتهﷺ فيتجسد في قول حسان بن ثابت حينما يذكر شجاعة النبيﷺ واصحابه في يوم بدر(٢):

ماض على الهول ركاب لما قطعوا اذا الكماة تحاموا في الصناديد

فالشاعر في هذا البيت يصور لنا شجاعة النبيﷺ حينما يسير ويمضي الى ((الهول)) وهو الامر الشديد والصعب، وذلك حينما يتراجع الابطال الصناديد من شدة هذا الهول(٣).

اما كعب بن مالك الانصاري فيقول عن شجاعة النبيﷺ بقوله(٤):

أنّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حُصْنِهُمُ صُفُوفَا

رئيسُهُم النّبيُّ وكانَ صُلْباً نقيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا

ففي صدر البيت الثاني صورة بلاغية استعارية تكمن في لفظة ((صلبا)) أي للدلالة على قوة وشجاعة الرسول الاعظمﷺ.

والرسولﷺ هو المطاع الذي يطيع امره المؤمنون كافة، فيؤثرون امره على امرهم، لان النبيﷺ اولى بالمؤمنين من انفسهم، اذ يقول حسان بن ثابت، وهو يهجو بني عدي بن كعب(٥):

قَد أَبرَزَ اللَهُ قَولاً فَوقَ قَولِهِمِ كَما النُجومُ تَعالى فَوقَها القَمَرُ

يشبه الشاعر في هذا البيت امر الرسول الاعظمﷺ على امر المؤمنين كمثل النجوم الذي يعلو فوقها القمر، وهذا هو تشبيه الشيء المعقول بالشيء المحسوس، وهذه الصورة فيها تناص مع قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً)) (الأحزاب:٣٦)

يشير هذا النص الى انه لا يجوز لمؤمن ولا لمؤمنة مخالفة امر الله ورسوله، بل من اللازم عليهم (إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً) من الامور ان يأخذوا به، فيجعلوا رايهم تبعا لرايه، واختيارهم تالياً لاختياره[١].

ويمكن ايضا ان يتناص معنى قوله تعالى: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا))(الحشر: من الآية٧)

أي: مهما امركم الرسول الاعظمﷺ من امر فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فانه انما يامر بخير وينهى عن شر[٢].

اما بكر بن جبلة الكلبي فيقول[٣]:

اجبتُ رسولَ اللهِ إذ جاءَ بالهدى فأصبحتُ بعد الجحدَ للهِ اوجرا

ففي هذا البيت استعارة تكمن في لفظة (جاء بالهدى) للدلالة على ان الرسول الاعظم ﷺ جاء بالإيمان، والعلم ،والرحمة إلى البشرية كافة من عرب وعجم.

يظهر مما تقدم اعجاب الشعراء في عصر صدر الاسلام بالصورة القرآنية لشخصية الرسول الاعظمﷺ واتضح ذلك كله في الصور الشعرية بأشكالها المختلفة، وهذا ما يشير الى تفاعل الشعراء مع تلك الصورة القرآنية لشخصية الرسول الاكرمﷺ تفاعلا كبيراً في عملية الخلق الشعري لمدح تلك الشخصية العظيمة ورثائها. والصفات التي شغلتها الصورة الشعرية واثرت فيها الصورة القرآنية لشخصية الرسول الاعظمﷺ، فكانت في صفة خلقه، وصفة عفوه، ورأفته ورحمته، وفي صفة شجاعته ﷺ.

اما الشعراء فقد توزعوا على انواع تلك الصور الشعرية التي ذكرناها سابقا، فهناك من الشعراء من نظم في اكثر من صورة او كرر النظم في صورة معينة. وخير مثال الشاعر حسان بن ثابت ومنهم من نظم في صورة واحدة نحو كعب بن زهير، وزهير بن صرد السعدي، وكعب بن مالك الانصاري، وصفية بنت عبد المطلب وغيرهم. إذ تمكن هؤلاء الشعراء من ابداع وصف صورة نبيناﷺ بما يمتلكون على مقدرة فنية من نقل الصورة القرآنية لشخصية الرسول الاكرم الى موضوعاتهم في المديح والرثاء بأسلوب ادبي رفيع.

وكان بعض الشعراء مكتفين في عرضهم لتلك الصور القرآنية بالإشارة الدالة، واللمحة الخاطفة في عرض الصور، وهذا ما يتضح في الاشعار التي قيلت في صفة شجاعتهﷺ والابيات التي تلتها وهكذا يتضح لنا ان الصورة القرآنية قد خدمت الصورة الشعرية في عصر صدر الاسلام

المطلب الثاني

- **بلاغة الأسلوب القرآني في مدح سمات رسولنا الاكرم** (عليه الصلاة والسلام) **ورثائه عند شعراء صدر الإسلام** .

مفهوم الاسلوب :

لقد أشار النقاد العرب القدامى إلى مفهوم الاسلوب ، إذ عبر كل ناقد منهم عن مفهومه للأسلوب ، واول من يطالعنا من هذه المفاهيم القريبة من معنى الاسلوب هو مفهوم الجاحظ الذي يرى بانه كلما ((.. كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن))[١] فهو يرى بان اسلوب الجمل يكمن في حسن الكلمة والتلذذ بها.

اما مفهوم الاسلوب عند عبد القاهر الجرجاني فيكمن في معنى الطريقة او النظم وهذا يتضح بقوله :((.. والاسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر اخر الى ذلك الاسلوب ، فيجئ به في شعر ...))[٢].

في حين عرف ابن خلدون مفهوم الاسلوب بشكل ادق واوضح ممن سبقه بقوله :((فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته للغة العربية موجودة فيهم بسمع كلام اهل جيله واساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم..))[٣].

اما مفهوم الاسلوب عند النقاد العرب المحدثين ، فهذا احمد الشايب يرى ان مفهوم الاسلوب هو ((طريقة الكتابة او طريقة الانشاء ، او طريقة اختيار الالفاظ وتاليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الايضاح والتاثير ، او الضرب في النظم والطريقة فيه))[١].

في حين يعرف د. أحمد بدوي الاسلوب بانه ((الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب افكاره ويبين بها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات))[٢].

وتأثير الاسلوب القرآني في شعر المدائح لشخصية الرسول الاعظمﷺ واضح بشكل كبير ، والمسوغ في هذا التأثير يرجع الى شدة تعلق شعراء عصر صدر الاسلام بأسلوب القران الكريم ، وحفظهم اياه ، ويعد ((اثراً فريداً وهندسة فنية تتحدى المقدرة المبدعة لدى الانسان)) [٣] والى انجذابهم للروح الاسلامية ، واتساع ثقافتهم ومعارفهم للنصوص القرآنية التي تمثل ((روح الفطرة اللغوية عند العرب في ارواحهم وعقولهم ومشاعرهم وقلوبهم ، وان كل دارس للقران على الصعيد الادبي يفتتن بروعة تراكيبه وصوره وطبيعة تعابيره الشائقة))[٤].

ومن ابرز الاساليب القرآنية التي تأثر بها شعراء عصر صدر الاسلام في مدح ورثاء شخصية سيد الاولين والاخرين سيدنا محمدﷺ هما:=

اولاً: اسلوب الخبر : وهو الكلام الذي يحتمل الصدق او الكذب لذاته[٥]، اي بغض النظر عن قائله[٦] ، إذ إنه يعد من الاساليب القرآنية التي تأثر بها شعراء عصر صدر الاسلام ، ومنه ظاهرة الاستغناء عن الفاعل ، ومن اهم الشواهد الشعرية تلك التي اشار اليها الشعراء في صفاته ﷺ.ومن ذلك قول حسان بن ثابت ، وهو يشير الى صفة معالم نبوتهﷺ بقوله[٧]:

فَأَمسَى سِرَاجاً مُستَنيراً وَهَادياً يَلوُحُ كما لَاحَ الصَّقيلُ المُهنَّدُ

وَأَنذَرَنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الإسلاَمَ فَاللهَ نَحمَدُ

ففي عجز البيت الاول حذف الشاعر الفاعل بعد الفعل (يلوح) ، إذ إن الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (هو) اي: النبي ﷺ.

وكذلك حذف الشاعر الفاعل في صدر البيت الثاني ، بعد الفعل (انذر) ، والفعل (بشر)، إذ إن الفاعل بعدهما ضمير مستتر وجوباً تقديره (هو) اي: النبيﷺ.

فالشاعر استمد هذا الاسلوب من النصوص القرآنية ، ومنه قوله تعالى:((وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ))(مريم:٣٩) ، وقوله تعالى :((وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ))(غافر:١٨).

وقوله تعالى:((وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ)) (ابراهيم:٤٤).

وتبرز هذه الظاهرة ايضا في صفة دعوته ﷺ وهذا يتضح في قول حسان بن ثابت حينما يمدح النبي ﷺ بقوله[١]:

متكرماً يدعو إلى رب العلى بذل النصيحة رافع الأعماد

فقد حذف الشاعر الفاعل بعد الفعل (يدعو) ، اذ ان الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) اي: محمد ﷺ .

ويتضح ذلك ايضا في قول الشاعر عمرو بن سالم الخزاعي ، إذ يقول[٢]:

فانصر هداكَ الله نصراً اعتداً وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا

إذ ان الشاعر حذف الفاعل في صدر البيت بعد الفعل (فانصر) وفي عجزه بعد الفعل (وادع) فالفاعل ضمير مستتر وحوباً تقديره (انت) ، اي: انت يا محمد .

فقد استعان كل من الشاعرين بهذا الاسلوب من قوله تعالى :((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))(النحل:١٢٥).

وفي صفة عفوه ﷺ وظف الشعراء ايضا هذا الاسلوب في اشعارهم ، ومن الشواهد على ذلك قول حسان بن ثابت وهو يخاطب الرسول الاعظمﷺ بقوله[٣]:

خُذ مِنهُمُ ما أَتى عَفواً إِذا غَضِبوا وَلا يَكُن هَمَّكَ الأَمرُ الَّذي مَنَعوا

لقد حذف الشاعر الفاعل في صدر البيت بعد فعل الامر (خذ) ، إذ إن الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره انت اي: النبي ﷺ.

فهذا البيت فيه تناص قراني مع صيغة حذف الفاعل في قوله تعالى:((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))(لأعراف:١٩٩).

وهذا زهير بن صرد السعدي ينشد امام الرسول الاعظمﷺ قوله[١]:

فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ مِنْ أُمَّهَاتِكَ إِن الْعَفو منتصر

فقد حذف الشاعر الفاعل في صدر البيت بعد الفعل (فالبس) ، اذ ان الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره انت .

ومن الصفات الاخرى التي اشار فيها الشعراء إلى ظاهرة اسلوب حذف الفاعل صفة تلاوته للقران الكريم ، فهذا الشاعر النابغة الجعدي ينشد قائلاً[٢]:

أَتَيتُ رَسُولَ اللَهِ إِذ جاءَ بالهُدى وَيتَلُو كِتاباً كالمجرةِ نَيرا

إذ إن الفاعل في عجز البيت الشعري محذوف بعد الفعل المضارع (يتلو) ، فهو ضمير مستتر تقديره هو .

وعلى المنوال نفسه ينشد حميد بن ثور الهلالي قوله[٣]:

حتى ارانا ربنا محمدا يتلو من الله كتابا مرشدا

إذ إن الفاعل محذوف ايضا في عجز البيت الشعري ، بعد الفعل المضارع (يتلو) فالفاعل ضمير مستتر جوازاً والتقدير هو .

وفي صفة حرصه ﷺ على اصحابه يتضح في قول حسان بن ثابت ، وهو يرثي الرسول الاعظم ﷺ بقوله[٤]:

عَزيزٌ عَلَيهِ أَن يَجوروا عَنِ الهُدى حَريصٌ عَلى أَن يَستَقيموا وَيَهتَدوا

إذ إن الخبر محذوف في عجز البيت الشعري ، بعد المبتدأ (حريص).

فقد كان ﷺ يفرحه ما يفرح اصحابه ويحزنه ما يحزنهم ، اذ كان يكني اصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم ، وذلك اكراماً وتكريماً لهم ، واستمالة لقلوبهم ، حتى انه ﷺ كان يكني من لا كنية له ، وكذلك يكني النساء اللاتي لهن الاولاد ، واللاتي لم يلدن[٥].

هذه هي الشواهد والدلائل التي دلت على وجود ملامح ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في شعر مدح شخصية الرسول الاعظم ﷺ ورثاؤها في عصر صدر الاسلام.

كذلك يعد أسلوب القسم أسلوب من أساليب تأكيد القول او الخبر في الشعر ، ولا سيما إذا أريد العزم والاصرار على أمرٍ من الامور او في مجابهة أنكار ذلك الامر، ولذلك فقد كثر القسم في الشعر وتنوع [١]. إذ استعمل شعراء عصر صدر الاسلام صيغاً للقسم ، منها صيغة (لعمرك)، ثم صيغة (لعمري)، وصيغ اخرى إلاَّ ان الذي يهمنا من هذه الصيغ، هي صيغة (لعمرك) التي جاءت في قوله تعالى: ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (الحجر:٧٢).

وقد استعملها الشعراء في سياقات مختلفة، ومن ذلك قول حسان بن ثابت في النبي ﷺ إذ يقول [٢]:

يتلو علينا النور فيها مُحكماً قسماً لعمركَ ليسَ كالأقسام

وهذا نوفل بن الحارث القرشي يستخدم ايضاً صيغة (لعمرك) بقوله [٣]:

لعمرك ما ديني بشيءٍ أبيعه وما أنا إذ اسلمتُ يوماً بكافر

وهذا الشاعر العباس بن مرداس يقسم بصيغة (لعمرك) للرسول الاعظمﷺ على انه اتخذ من الصنم (ضمار) إلهاً من دون الله عز وجل، فهو جاهل بهذا الفعل، إذ يقول [٤]:

لعمركَ إني يوم أجعل جاهلاً (ضمار) لرب العالمين مشاركاً

وفي غرض الرثاء استخدم الشعراء ايضاً صيغة (لعمرك) في رثاء النبيﷺ، فهذا سواد بن قارب يرثي النبيﷺ بقوله [٥]:

حزناً لعمرك في الفؤاد مخامراً او هل لمن فقد النبي فوادٌ

يتضح من خلال النصوص الشعرية المذكورة انفاً ، ان هناك اكثر من شاعر استخدم صيغة (لعمرك)، إذ أن القسم بهذه الصيغة يعدُ من باب التكريم للمقسم به[٦]. وهذا تناص مع القسم الذي في قوله تعالى :((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (الحجر:٧٢).

يرى الزمخشري في النص القرآني ان الله عز وجل اقسم بحياة النبي محمدﷺ وما اقسم بحياة احد قط كرامة لهﷺ [١].

فاللهُ عز وجل أقسم بحياة نبيه إكراماً له ومحبة وتزكية وتنزيهاً عما قد وصفوه به، وبذلك فقد اكرم الله عز وجل رسوله بهذا الخطاب، كي يرد تقولاتهم، وينبه الى منزلة رسوله الاعظمﷺ ورثائه الكبرى عند الله عز وجل [٢].

يبدو من خلال ما تقدم تعلق الشعراء بظاهرة الاستغناء عن الفاعل في مدح شخصية الرسول ﷺ ورثائه لاسيما في غرضي المديح والرثاء، وفي الاسلوب الانشائي غير الطلبي أكثر ما تأثر به شعراء صدر الاسلام في مدح الرسول الاعظمﷺ ورثائه بأسلوب القسم ، ولاسيما صيغة (لعمرك) فقد استعملها أكثر من شاعر وفي سياقات مختلفة عند كل شاعر، إذ تختلف عن سياق الآية القرآنية المعروفة ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (الحجر:٧٢).

- **نتائج البحث-**

بعد ان منّ الله علينا بإنجاز هذا البحث الموسوم تحت عنوان (سمات نبي الرحمة (عليه الصلاة والسلام) في الشعر الإسلامي : دراسة في بلاغة الصورة والأسلوب) لقد توصلنا إلى استنتاجات عدة يمكن ان نوجزها بالوجه الآتي :

١. لقد تميز مدح الشعراء ورثاؤهم للرسول (عليه الصلاة والسلام) بالوصف البعيد عن المبالغة والمغالاة ، لانهم كانوا آنذاك مطالبين بالصدق والواقعية ، فلم يخرجوا عن التعاليم الإسلامية فضلا عن ذلك انهم قد مدحوا رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام)على وفق معاني المديح التي اتصف بها مثل الخلق ، والصبر وغيرها من السمات الاخرى .
٢. لقد وظف الشعراء في عصر صدر الإسلام الصورة القرآنية حينما مدحوا رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) ورثوه في نصوصهم الشعرية ، وهذا يدل على مدى تفاعل شعراء هذا العصر مع النصوص القرآنية التي اشارت إلى سمات نبي الرحمة من نحو صفتي خُلقه وخَلقه ، وصفة عفوه ، ورحمته ، وشجاعته (عليه الصلاة والسلام)
٣. كشف هذا البحث أن الشعراء في عصر صدر الإسلام تأثروا بالأسلوب القرآني حينما مدحوا رسولنا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) ورثوه في نصوصهم الشعرية ، إذ نجد

ان هذا التأثر توزع بين أسلوبين هما : تعلق الشعراء بظاهرة الاستغناء عن الفاعل والقسم لاسيما ان الاخير قد وظفه الشعراء في سياقات مختلفة .

Characteristics of the Prophet of Mercy (peace be upon him) in Islamic poetry: A study in the eloquence of image and style

Dr. Saad al-Adwan O'haib
Diyala of University
College of Education for Humanities

Research Summary

This research studies (the characteristics of the Prophet of Mercy (peace be upon him) in Islamic poetry: a study in the eloquence of image and style), and by it I mean the investigation of some of the features of our Noble Messenger (peace and blessings be upon him) in Islamic poetry - specifically among the poets of early Islam - as I studied them according to The terms image and style, because they contribute to revealing the aesthetics of the imagination of the Islamic poet, as well as in order to reveal the extent to which the imagination of poets in the Islamic era was affected by the Qur'anic image and style, which the researchers who studied the features of our Noble Prophet (peace and blessings be upon him) in Islamic poetry did not pay attention to. Before, and from this point of view, I divided this research topic into two parts.

The first requirement: the eloquence of the Qur'anic image and its impact on praising the attributes of our Noble Messenger (peace and blessings be upon him) and his lament for the poets of the Islamic era.

The second requirement: the eloquence of the Qur'anic style and its impact on praising the attributes of our Noble Messenger (peace and blessings be upon him) and his legacy to the poets of the Islamic era.

الهوامش

المدخل في علم النفس الرياضي ، محمد حسن علاوي ، ١٩٨.
الأمن النفسي وعلاقته بسمات الشخصية ، ياسر حلبي الجاجان ، ٤٨ .
٣- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، م٢، ص٤٩١-٤٩٢ .
٤- ينظر: الصورة الشعرية، سي-دي لويس، ترجمة: د. احمد نصيف الجنابي، ومالك ميري، وسلمان حسن ابراهيم، مراجعة: د. عناد غزوان اسماعيل ،٢١-٢٣ .
٥- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ١/ ٧٤٢.
٦- ينظر: الاسلام والفن، د. محمود البستاني ، ع ٣٠٠٠ / ١٨-١٩ .
٧- ينظر: م . ن ، ٩٢ .
٨- ينظر: م . ن ، ١٣٤ .
٩- ينظر: جماليات المفردة القرآنية، اعداد: احمد ياسوف، اشراف ، تقديم: د. نور الدين عتر ، ١٠١ .
١٠- ينظر: من بلاغة القران، د. احمد أحمد بدوي، ١٩٢ .
١١- م . ن ، ٢٢١ .
١٢- ينظر: جماليات المفردة القرآنية، ١١٩ .
١٣- ينظر: أثر القران في الشعر العربي الحديث، د. شلتاغ عبود شراد ، ١١٤، .
١٤- ينظر: جماليات المفردة القرآنية، ١٥٣ .
١٥- المعجم الفلسفي،٧٤٢.

١٦- ديوان حسان بن ثابت ، ٥١ .
١٧- الاسلام والفن، ١٣٩ .
١٨- ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٥٣٠/٢ .
١٩- ديوان حسان بن ثابت ، ١٢٧ .
٢٠- الصورة الشعرية، سي-دي لويس، ٢١ .
٢١- وهي بنت ثعلبة بن عمرو بن حيصن كانت مولاة لا منة بنت وهب وهي والدة النبي (عليه الصلاة والسلام) وبعد وفاتها صارت مولاة للنبي (ص)تزوجها زيد بن حارثه بعد وفاة زوجها عبيد الحبشي ، ينظر : الطبقات الكبير ، ج٢، ق٢/ ٩٨ .
٢٢- م ، ن ،٢،ق٢/ المكان نفسه .
٢٣- شخصية الرسول الاعظم قرآنيا، جلال الحنفي ، ٢١٧ .
٢٤- ديوان حسان بن ثابت ، ٦٤ .
٢٥- ينظر: شخصية الرسول الاعظم قرآنيا، جلال الحنفي ، ٣١ .
٢٦- ديوان حسان بن ثابت، ٥١ .
٢٧- دراسات في الادب الاسلامي، ٢٨٦ .
٢٨- ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، ٣/ ٤٢٥ .
٢٩- ديوان حسان بن ثابت ، ٦١ .
٣٠- شخصية الرسول الاعظم قرآنيا، جلال الحنفي ، ٣٧ .
٣١- م . ن ، ص٣٧ .
٣٢- ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، بشرى محمد علي الخطيب،١٦٤ .
٣٣- ديوان حسان بن ثابت، ٥٢ .
٣٤- ينظر: تفسير الرازي، ٢١٨/٢٥ .
٣٥- ديوان حسان بن ثابت ، ٦٣ .
٣٦- ينظر: شخصية الرسول ﷺ، محمود عبد الجبار، ٢٩٢/٢ .
٣٧- السيرة النبوية، ٢٢٣/٣ .
٣٨- شعراء الرسولﷺ، ٣٤٢ .
٣٩- الصورة الشعرية، سي-دي لويس، ٢١ .
٤٠- السيرة النبوية، ١٣٤/٤ .
٤١- شخصية الرسول الاعظم قرآنيا، جلال الحنفي ، ١٨٥ .
٤٢- ديوان كعب بن زهير ، ١٨٨ .
٤٣- ديوان حسان بن ثابت ، ٦٤ .
٤٤- م . ن ، ٥٣ .
٤٥- م . ن ، ٦٠ .
٤٦- ينظر: كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ٢٤٠ .
٤٧- ديوان كعب بن مالك ، ٢٣٤ .
٤٨- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ٣٥٣ .
٤٩- ديوان حسان بن ثابت ، ٦٠ .
٥٠- م . ن ، ٦٥ .
٥١- م . ن ، ٥٢ .
٥٢- ينظر: دراسات في الادب الاسلامي، ٨٤ .
٥٣- ديوان كعب بن مالك ، ٢٣٤ .
٥٤- ديوان حسان بن ثابت ، ١٣٥
٥٥- ينظر: الكشاف، الزمخشري ، ٢٦١/٣-٢٦٢ .
٥٦- ينظر: تفسير القران العظيم، م٤ / ١٣٦-١٣٧ .
٥٧- كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد ، ج١، ق٦٨/٢ .

٥٨- البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج٢٠٣/١.
٥٩- دلائل الاعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ،٣٦١.
٦٠- مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون، ٥٥٤ ، وهناك مفاهيم عربية قديمة عن الاسلوب لسنا في صدد ذكرها لعدم اتساع البحث لها .
٦١- الاسلوب ، احمد الشايب ، ٤٤ .
٦٢- اسس النقد الادبي عند العرب ، د.أ حمد احمد بدوي ، ٤٥٣.
٦٣- الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ترجمة: عبد الصبور شاهين ، ١٨٢.
٦٤- اثر القران في الشعر الاندلسي ، ٢٠٧.
٦٥-ينظر: جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ، ٥٣.
٦٦- إذ إن هذا التعريف انما ينظر الى احتمال الصدق والكذب الى الكلام نفسه لا الى قائله ، وذلك كي تدخل الاخبار الواجبة الصدق كالأخبار التي وردت في القران الكريم والحديث الشريف ، وكذلك اخبار النظريات والبديهيات التي لا تحتاج الى برهان ، ينظر: جواهر البلاغة ، ٥٣.
٦٧- ديوان حسان بن ثابت ، ٥١.
٦٨- م . ن ، ٥٣.
٦٩- كتاب الطبقات الكبير ، ابن سعد ، ج ٤ ، ق٢/ ٣١.
٧٠- ديوان حسان بن ثابت ، ١٤٩.
٧١- السيرة النبوية ، ٤/ ١٣٤.
٧٢- اسد الغابة ، ٤ /٢٢١ .
٧٣- شعر الدعوة الاسلامية ، ١/ ٢٤٣.
٧٤- ديوان حسان بن ثابت ،٦٠.
٧٥- ينظر: وسائل الوصول الى شمائل الرسول ، الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني ، مراجعة القاضي الشيخ حسن تميم ، ١٢١.
٧٦- ينظر: اساليب القسم في اللغة العربية، كاظم فتحي الراوي، ١٥.
٧٧- ديوان حسان ين ثابت ، ٢٣٤.
٧٨- شعراء الرسول ﷺ، ٣٢٧.
٧٩- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ، ج٥/ ٣٠٥.
٨٠- شعراء الرسول ﷺ، ١٩.
٨١- ينظر: أثر القرآن الكريم في الشعر الاندلسي، ٢٣٠.
٨٢- ينظر: الكشاف، ج٢/ ٣٩٦.
٨٣- ينظر: اساليب القسم في اللغة العربية، ٢٧٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أثر القران في الشعر العربي الحديث ، د.شلتاغ عبود شراد ، دار المعرفة ، دمشق ، ١٩٨٧م .
- أثر القران الكريم في الشعر الاندلسي ، د، محمد شهاب العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، سلسلة رسائل جامعية ، ٢٠٠٢م .
- اساليب القسم في اللغة العربية ، كاظم فتحي الراوي ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بـ (ابن الأثير) ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٠هـ.

- اسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- الإسلام والفن ، د. محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية مشهد ، إيران ، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٩هـ.
- الاسلوب ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م.
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- تفسير الرازي ، للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م .
- تفسير القران العظيم ، للإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، الازهر، القاهرة ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م .
- جماليات المفردة القرآنية ، أحمد ياسوف ، تقديم : د. نور الدين عتتر ،دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية عشر ، (د-ت) .
- دراسات في الأدب الإسلامي ، د. سامي مكي العاني ، توزيع الكتب الإسلامية ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م .
- دلائل الاعجاز في علم المعاني ، الامام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.
- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : د. محمد عزت نصر الله ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د-ت) .
- ديوان كعب بن زهير ، شرح : أبو سعيد السكري ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- ديوان كعب بن مالك الانصاري ، د. سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦م .
- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، بشرى محمد علي الخطيب ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧١م .
- السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٤هـ- ١٩٩٧م .
- شخصية الرسول الاعظم قرآنيا ، جلال الحنفي ، دار الثقافة العامة ، بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٧م .
- شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، محمود عبد الجبار ، بحوث الندوة الفكرية السادسة ، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١م .

- شعراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وليد الاعظمي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م .
- شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، عبد الله بن حامد الحامد ، الرياض ، ١٩٧١م .
- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القران الكريم ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ ١٩٨١م .
- كتاب الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م .
- الصورة الشعرية ، سي-دي لويس ، ترجمة : د. أحمد نصيف الجنابي واخرون ، مراجعة : د. عناد غزوان إسماعيل ، مؤسسة الفليح للطباعة والنشر ، الصفاة ، الكويت ، ١٩٨٢م .
- الطبقات الكبير ، محمد بن سعيد الليثي كاتب الواقدي ، تصحيح : ادوارد سخو ، طبع مدينة ليدن بمطبعة بريل ، ٢٢٢هـ .
- الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار القران الكريم ، السالمية ، الكويت ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
- العقد الفريد ، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسي ، تحقيق : أحمد أمين واخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الاخيرة ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م .
- لسان العرب ، جمال الدين العلايلي ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، (د-ت)
- المدخل في علم النفس الرياضي ، محمد حسن علاوي ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٨م .
- المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧١م .
- -مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، (د-ت) .
- من بلاغة القران ، د. أحمد أحمد بدوي ، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٠ م .
- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ، يوسف بن إسماعيل النبهاني ، مراجعة : القاضي حسن تميم ، مطابع دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٨٤٩هـ ١٩٣٢م .

■ -الرسائل الجامعية-

- الأمن النفسي وعلاقته بسمات الشخصية ، ياسر حلبي الجاجان ، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م